

www.minshawi.com خاص بموقع المنشاوي للدراسات والبحوث

ورقة مقدمة لندوة الأمن مسئولية الجميع في دورتها السنوية الأولى
"تطبيقات الشرطة المجتمعية"

للفترة من ١١-١٤/١/١٤٢٩ هـ الموافق ٢٠-٢٣/١/٢٠٠٨ م

المحور الأول (الشرعي) بعنوان:

تطبيقات الشرطة المجتمعية

في الشريعة الإسلامية

إعداد

د. محمد عبدالله ولد محمدن

وكيل مركز الدراسات والبحوث
جامعة نايف العربية للعلوم الأمنية

المقدمة:

يهدف النظام الإسلامي إلى الاجتماع والترابط والتآلف بين أفراد المجتمع، ويتخذ لذلك السبل الكفيلة بتحقيقه، ابتداءً بجمع أفراد المجتمع على عقيدة واحدة وقبله واحدة، وعلى أشكال العبادات الجماعية التي يتدرج فيها اجتماع أكبر قدر ممكن من سواد الأمة، فمن الاجتماع في ركن الحج إلى الاجتماع لشهود أعياد المسلمين، إلى الجُمع، إلى الجماعات في الصلوات الخمس، ويستثمر الإسلام هذه الاجتماعات. استثماراً رائعاً ويعتبر آثارها من أهم مقومات الأمن والسعادة للمجتمع، ومن هنا كان للمنظور الإسلامي للشرطة المجتمعية دلالات خاصة وأوجه عديدة؛ ذلك أن الإسلام ينظر إلى المجتمع في جميع أنشطته المشار إليها على أنه كلة شرطة وأن كل فرد منه على ثغره. ولإبراز موقف الشريعة الإسلامية من تطبيق الشرطة المجتمعية يتضمن الحديث المباحث الآتية:

المبحث الأول: العمل الشرطي وتأصيله في الإسلام. المبحث الثاني:

مفهوم الشرطة المجتمعية وأهميتها في الإسلام.

المبحث الثالث: نماذج من تطبيقات الشرطة المجتمعية قبل الإسلام.

المبحث الرابع: نماذج من تطبيقات الشرطة المجتمعية في الإسلام.

المبحث الخامس: الحسبة والشرطة المجتمعية.

المبحث السادس: التكافل في الإسلام وأثره الأمني المجتمعي.

المبحث السابع: الوازع الديني وأثره في التعاون الأمني.

المبحث الثامن: المبادرة المنضبطة وأثرها الأمني.

المبحث الأول: العمل الشرطي وتأصيله في الإسلام تزخر النصوص القرآنية

والأحاديث النبوية وسيرة المصطفى ﷺ وسيرة خلفائه صحابته بالدلالات الواضحة

على مشروعية العمل الشرطي وأهميته لسلامة النظام وأمنه، ومن تلك النصوص

قوله تعالى ﴿أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا خُذُوا حِذْرَكُمْ فَانفِرُوا نَائِبَاتٍ أَوْ انفِرُوا جَمِيعاً وَإِنَّ مِنْكُمْ

لَمَنْ لَيَبْطِئَنَّ﴾ النساء ٧١- ٧٢ فالآية تأمر بأخذ الحذر من العدو، وبخاصة من

المندسين في الصفوف من المبطئين، فأخذ الحذر مأمور به أمراً شمولياً، لا من

العدو الخارجي فحسب، ولكن كذلك من المبطئين المخذلين المعوقين سواء أكانوا

يبطئون أنفسهم أو يبطئون غيرهم، مختصر تفسير البغوي، ١/١٨٣

فالانتباه واليقظة وأخذ الحذر من صميم العمل الشرطي، والنداء في الآية عام

لجميع المؤمنين دون استثناء، لا يعفى أي فرد من أفراد المجتمع من الأمر بالحذر

والحيطة والانتباه وفي قوله تعالى في آية أخرى ﴿وَفِيكُمْ سَمَاعُونَ لَهُمْ﴾ التوبة ٤٧.

إشارة إلى أنه قد يكون في المجتمع المسلم عيون يسمعون الأخبار لمصلحة العدو

وينقلونها إليه. وإذا كان المجتمع المسلم مؤهلاً لوجود هذا النوع من العمل الشرطي،

فإن استخدامها لمصلحة المجتمع الذي هو جزء منه هو الأصل وهو الأولى

والصواب. ولما كان اكتشاف هذا النوع من العيون يحتاج إلى بحث وتتبع أصبح من

الضروري وجود جهاز في المجتمع يتولى أمر البحث والتتبع لأصحاب تلك

العيون والعمل على إظهارهم للمجتمع حتى لا تنتقل أسرارهم إلى أعدائه

(الاستخبارات، ١٩٩٩م، ص ٧).

وفي سيرة الرسول ﷺ وسيره خلفائه الراشدين والصحابة جوانب مضيئة تدل دلالة واضحة على أهمية العمل الشرطي. فمن الوسائل التي اتخذها الرسول ﷺ في هذا الجانب الذي يعتبر هو المتطلب الأول من متطلبات الاستقرار، لبداية بناء الدولة عندما هاجر من مكة إلى المدينة المنورة في ظرف حرج يحتاج إلى كثير من الترتيبات الأمنية كما هو معلوم، ويضاف إلى ذلك تباين مجتمع المدينة عن المجتمع المكي، ففي المدينة قبائل بينها حروب أهلية طاحنة كما كان بين الأوس والخزرج، وفي المدينة اليهود الذين يظلمون بأن تصبح لهم السيادة على الجزيرة العربية وغيرها. لذا كان الوضع يتطلب من الناحية الأمنية وضع خطة دقيقة حتى تتأسس الدولة.

لجأ الرسول ﷺ إلى ترتيب خطة الهجرة بشكل دقيق، ثم عمد إلى بناء المسجد أولاً، وأخى بين المهاجرين والأنصار على اختلاف قبائلهم وعشائرهم لينظم العلاقة بين أفراد المجتمع بما يضمن الأمن والاستقرار في ضوء نظام إسلامي دقيق.

أما علاقة المسجد بالعمل الشرطي فتتجلى في كونه في ذلك الوقت المجمع الوحيد الذي يأوي إليه أفراد المجتمع فيتعارفون ويتعاونون ويتألفون، وتزول عنهم الوحشة والغربة والحواجز التي تكون في الغالب بين الزائر الغريب والمزور المقيم.

لذا كان تأسيس المسجد في ذلك الوقت تأصيلاً للعمل الشرطي في الإسلام، وكذلك فإن مشروع المؤاخاة بين المهاجرين والأنصار يعتبر عنصراً تأصيلياً في العمل الشرطي في الإسلام. ومن اهتمام الصحابة وخاصة الخلفاء الراشدين رضوان الله عليهم بهذا الجانب، وصية عمر لسعد بن أبي وقاص - رضي الله عنهما - وهو يتجهز لغزوة القادسية - التي يقول فيها : (وإذا وطئت أذى أرض العدو فابعث العيون بينك وبينهم ولا يخف عليك أمرهم، وليكن عندك من العرب أو من أهل الأرض ممن تظمنن إلى نصحه وصدقه، فإن الكذب لا ينفحك خبره، وإن صدق في بعضه، والفاسق عين عليك وليس عيناً لك، وليكن منك عند دنوك من أرض العدو أن تكثر الطلائع) (ابن كثير ٣٨) فهذه الوصية تدل دلالة واضحة على أصالة العمل الشرطي في الإسلام، وأنه ليس أمراً دخيلاً عليه كما يتوهم البعض. وتاريخ الأمة الإسلامية يؤكد اهتمام السلف بهذا الجانب الأمني وأنه من الأمور الضرورية، يقول القاضي أبو يوسف في كتاب الخراج : (وينبغي للإمام أن تكون له مسالح (حرس) على المواضع التي تنفذ إلى بلاد أهل الشرك من الطرق، فيفتشون من مر بهم من التجار، فمن كان معه سلاح أخذ منه ورد، ومن كان معه كتب قرئت، فما كان من أخبار المسلمين قد كتب به أخذ الذي أصيب معه الكتاب ويبعث به إلى الإمام ليرى فيه رأيه) (أبو يوسف ١٩٠) وعلى الرغم من وجود هذه الأصول ذات الدلالة الواضحة على مشروعية العمل الأمني في الإسلام فإنه لم يحظ بنصيب كبير من البحث التأصيلي، سوى ما ظهر من كتابات حديثة، وممن عنوا حديثاً بتأصيل هذا الفن الأستاذ الدكتور سلامة محمد الهرفي حيث ألف كتابه القيم: المخابرات في الدولة الإسلامية، وكذلك الدكتور إبراهيم علي محمد أحمد،

حيث صدرت له أبحاث قيمة في هذا المجال أحدها بعنوان ((الاستخبارات في دولة المدينة المنورة)) وآخر بعنوان ((رجل الأمن في الإسلام : شروطه وصفاته وآدابه))، وثالث بعنوان ((فقه المخابرات وأدلته)) وهذه الكتب الأربعة طبعت بجامعة نايف العربية للعلوم الأمنية. وقد أشار الدكتور إبراهيم إلى تقصير الخلف في هذا الشأن بقوله ((ومن العلوم التي أغفلها الخلف ولم يعيروها اهتماماً يذكر علم الأمن والمخابرات، فعلى الرغم من أن القرآن أشار إليه والسنة تضمنته وطبقه الرسول ﷺ عملياً في الفترة المكية والمدنية، وإن كتب التاريخ الإسلامي مليئة بالوقائع والأحداث التي تشير إلى هذا العلم، وعلماء السلف أكدوا على أهميته في كتبهم، وإن لم يفرّدوا له كتاباً خاصاً، ومع ذلك لم يحظ هذا العلم بدراسة تأصيلية، الأمر الذي جعل الناس في البلاد الإسلامية - معظمهم - ينظرون إليه على أنه علم غربي وأن الإسلام لم يشر إليه أو يتضمنه)) (أحمد، ٢٠٠٠، ص ٣-٤)

المبحث الثاني : مفهوم الشرطة المجتمعية وأهميتها في الإسلام ١٠١ مفهومها

قبل الحديث عن مفهوم الشرطة المجتمعية كمصطلح، لابد من الإشارة إلى معنى كل من كلمة "الشرطة" وكلمة "المجتمعية"

فالشرطة في اللغة العربية مفرد شُرطٍ وهم أعوان الولاية، والكلمة في الأصل مأخوذة من الشرط الذي جمعه أشراط وهو العلامة، ومنه قوله تعالى ﴿فَهَلْ يَنْظُرُونَ إِلَّا السَّاعَةَ أَنْ تَأْتِيَهُمْ بَغْتَةً فَقَدْ جَاءَ أَشْرَاطُهَا فَأَنَّى لَهُمْ إِذَا جَاءَهُمْ ذِكْرَاهُمْ﴾ سورة محمد ١٨ أي علاماتها، وسمي الشرطة بهذا الاسم لأنهم يضعون على أنفسهم علامات يعرفون بها (اللسان ٣٢٩/٧ "شرط")

والشرطة في الاصطلاح هم الجند الذين يعتمد عليهم الخليفة أو الوالي في استتباب الأمن وحفظ النظام والقبض على الجناة والمفسدين، وما إلى ذلك من الأعمال الإدارية التي تكفل سلامة الجمهور وطمانينتهم (العنبي، الموسوعة الجنائية الإسلامية، ص ٤٧٢).

أما كلمة "المجتمعية" فهي نسبة إلى المجتمع، وهذه الكلمة صفة لكلمة الشرطة، والمعنى الشرطة المنسوبة إلى المجتمع.

والمجتمع في اللغة العربية مشتق من الجمع وهو الضم، جمع الشيء ضم بعضه إلى بعض، وتجمع انضم بعضه إلى بعض، والمجتمع موضع الاجتماع، والجماعة من الناس (المعجم الوسيط ١/٤٣، ١٣٥).

والمجتمع في الاصطلاح ((يقصد به التجمع الإنساني الذي تكاملت فيه شروط حياته، من الجوانب التاريخية، والاقتصادية، والاجتماعية، والحضارية، ويحقق قدراً من الاستقلال النسبي الذاتي)) (الأصفر، الجوانب الاجتماعية للشرطة المجتمعية بحث منشور ضمن أبحاث ندوة الشرطة المجتمعية (الأساليب والنماذج والتطبيقات العملية، ص ١٥٩ وعلى هذا يكون المراد بمصطلح "الشرطة المجتمعية" هو ((مشاركة جميع أفراد المجتمع ومؤسساته في العمل الأمني، كل

بقدر طاقته ومستواه وتخصصه)) (الأصبيعي، النماذج العربية للشرطة المجتمعية، بحث مطبوع ضمن أبحاث ندوة "الشرطة المجتمعية"، ص ٤١)

٢٠١ أهميتها

لا شك في أن تعقيد الحياة في هذا العصر وتنوعها وتجديدها يجعل التعاون بين الشرطة وبين أفراد المجتمع ومؤسساته المدنية أمراً ضرورياً، يؤدي تطبيقه إلى محاسن كثيرة، في مقدمتها: إيجاد الوعي بين أفراد المجتمع، وإزالة الخوف وتضييق الفجوة الموجودة بينهم وبين الشرطة.

وبالتالي تقل الجريمة وتنحسر بهذا التعاون من جهة، وبالتدخل المباشر من المجتمع لفض المنازعات والإصلاح بين الناس من جهة أخرى.

ويشير كثير من الباحثين إلى أن فكرة الشرطة المجتمعية لم تظهر إلا في العقود الأخيرة من القرن المنصرم، وأن تطبيقها العملي ظهر في الثمانينيات من القرن نفسه، وأن الدول التي طبقت هذا المفهوم بشكل واسع هي الولايات المتحدة وبريطانيا وكندا... على سبيل المثال (أبوشامة، ١٩٩٩م، ص ٣).

ولكننا إذا أمعنا النظر في تاريخ نشأة هذه الفكرة لوجدناها تكاد تكون قديمة قدم الإنسان، وإن لم تسم باسمها المعروف اليوم، إذ نجد لها نماذج تطبيقية في الشرائع السماوية السابقة، وفي العصر الجاهلي قبل البعثة، ناهيك عما سيتضح من ذكر بعض نماذجها في الإسلام.

المبحث الثالث: نماذج من تطبيقات الشرطة المجتمعية قبل الإسلام

لما كان الإنسان مدنياً بطبعه ولايستغني عن أخيه الإنسان، كان الناس بحاجة إلى التعاون والتكامل فيما بينهم، ومن أهم ما يتعاون عليه الناس ما يحقق أمنهم واستقرارهم وهذا الأمر يقتضي شراكة معينة هي المعبر عنها بالشرطة المجتمعية، فهي شراكة تستلزم أن يمد الشرطة أيديهم إلى المجتمع المدني، وأن يمد المجتمع المدني أيديه إلى الشرطة، ولايمكن تحقق الأمن والطمأنينة لمجتمع ما دون وجود هذه الشراكة، لذلك نجد عبر التاريخ ما يمكن أن نسميه بالشرطة المجتمعية وحتى فيما قبل الإسلام ومن ذلك على سبيل المثال:

١- ما قصه علينا القرآن في شأن موسى وقومه وفرعون وجنوده من مبادرة أحد أفراد المجتمع في ذلك الوقت بنقل خبر المؤامرة التي تحاك لقتل موسى ومسارعة بالإبلاغ والنصح له بالخروج لينجو من المؤامرة، قال تعالى ﴿وَجَاءَ رَجُلٌ مِّنْ أَقْصَى الْمَدِينَةِ يَسْعَى قَالَ يَا مُوسَى إِنَّ الْمَلَأَ يَأْتَمِرُونَ بِكَ لِيَقْتُلُوكَ فَاخْرُجْ إِنِّي لَكَ مِنَ النَّاصِحِينَ فَخَرَجَ مِنْهَا خَائِفًا يَتَرَقَّبُ قَالَ رَبِّ نَجِّنِي مِنَ الْقَوْمِ الظَّالِمِينَ﴾ (القصص، ٢٠- ٢١).

وهذا الفرد قيل إنه مؤمن آل فرعون، وقيل إنه غيره، وعلى أي حال فإنه لما علم الخبر وما يحيكه فرعون وملاؤه من تدبير قتل نبي الله موسى عليه السلام، بادر إليه وأسرع في المشي ليخبره بالخبر وينصحه بالخروج، وهذه مبادرة من فرد غير موظف لهذا الأمر فيما يبدو، وإنما أخذ المبادرة ليجلب المصلحة لموسى وقومه ويدراً عنهم المفسدة، قال ابن كثير: وصفه بالرجولية لأنه

خالف الطريق فسلك طريقاً أقرب من طريق الذين بعثوا وراءه فسبق إلى موسى (ابن كثير، المختصر للصابوني ٨/٣). ونص المفسرون على أن هذا الأمر يعتبر من النميمة المطلوبة لما يجلبه من المصلحة الدينية وهو وإن كان من شرع من قبلنا إلا أنه مما أقره شرعنا (الألوسي، ٥٨/٧). ٢- ومن ذلك ما كان عند الجاهلية العربية حيث روت لنا كتب التاريخ قصصاً تدل على أن العرب في جاهليتهم كان لديهم عمل شرطي يقوم به أفراد من المجتمع في ذلك الوقت، فقد ورد في جمهرة أنساب العرب أن رجلاً يدعى حكيم بن أمية السلمي كان يؤدي في المجتمع القرشي قبل الإسلام مهاماً أجمع القوم على أن يتولاها هو ((وهذه الأعمال تعتبر من صميم العمل الشرطي بمفهومه الحديث، حيث فوضوه أن يحبس وينفي ويؤدب الفساق، ويأمر بالمعروف وينهى عن المنكر ((ابن حزم، جمهرة أنساب العرب، ص ٢٦٣).

ويقول ابن حجر عند ترجمته لحكيم هذا ((وكان حكيم قبل البعثة قائماً على سفهاء قريش يردعهم ويؤدبهم باتفاق من قريش على ذلك)) وفي ذلك يقول شاعرهم:

أطوف بالأباطح كل يوم مخافة أن يؤدبني حكيم

مما يدل على أن مهابة هذا الرجل حدثت من الفوضى وزادت من أمن المجتمع في ذلك الوقت (العسقلاني، الإصابة، ٣٤٩/١).

٣- كما أن حلف الفضول الذي حضره الرسول ﷺ قبل البعثة وأعجب به، يعتبر من بوادر العمل الشرطي ومن مشاركة المجتمع الفعالة في توفير الأمن، وإقامة العدل وتقليص الظلم الذي كان سائداً في ذلك الوقت.

وسبب عقد هذا الحلف أن قريشاً لما كثرت فيهم الرئاسة وتعددت فيهم الزعامات عقدوا حلفاً على رد المظالم وإنصاف المظلوم.. ويروى في السبب المباشر له أن رجلاً من زبيد قدم من اليمن إلى مكة المكرمة معتمراً ببضاعة، فاشتراها منه رجل من بني سهم، ثم امتنع من أداء الزبيدي حقه فنادى في الحرم مجاهراً بظلامته بين رجال قريش وأنشد شعراً يقول فيه مستغيثاً :

يا آل فهر لمظلوم بضاعتهم بيطن مكة نائي الدار والنفير

ومحرم أشعث لم يقض عمرته بين المقام وبين الحجر والحجر

أقائم من بني سهم بذمتهم أو ذاهب في ضلال مال معتمر

فعلى إثر ذلك اجتمعت بطون قريش في دار عبد الله بن جدعان، وتعاهدوا على رد المظالم بمكة، وألا يظلم أحد إلا منعه وأخذوا للمظلوم حقه منه، وعرف هذا الاتفاق بحلف الفضول، وكان حضور رسول الله ﷺ لهذا الحلف قبل البعثة بعشرين سنة، لكنه أعجبه وأشاد به بعد البعثة وظهور الرسالة وقال: ((لقد شهدت في دار عبد الله بن جدعان حلف الفضول ما لو دعيت إليه لأجبت، وما أحب أن لي به حمر النعم ((ابن هشام، السيرة النبوية، ٢٦٥/١، ٢٦٤).

وهكذا نجد أن المجتمع العربي في ذلك الوقت كان يشعر بضرورة أشرطة المجتمع للأخذ على أيدي الظالمين ورد الحقوق المغصوبة إلى أصحابها. كما أن

إشادة الرسول ﷺ بهذا العمل المجتمعي وتأكيد له لأهميته تعتبر دليلاً على اهتمام الإسلام به.

المبحث الرابع : نماذج من تطبيقات الشرطة المجتمعية في الإسلام
اقتضت النظرة الشمولية التي ينظرها الإسلام إلى مهمة الفرد والجماعة أن يكون أمن الدولة الإسلامية، وأمن قاداتها وأمن جميع مصالحها من مسؤولية جميع الأفراد وجميع المؤسسات ذلك أن الإسلام ينظر إلى الفرد نظرة تختلف عن نظرة غيره، فكل فرد في المجتمع المسلم يعتبره الإسلام مسؤولاً ومسؤولية شاملة عن مصلحة مجتمعه، مهما كان مستوى ذلك الفرد، ابتداءً بالمسؤول الأعلى ووصولاً إلى أدنى أفراد المجتمع - والكل يعتبر نفسه مسؤولاً أيضاً عن كل ما يجلب المصلحة لمجتمعه، أو يدفع المفسدة عنه، لذلك كان الفرد في المجتمع المسلم فاعلاً ومنتجاً وبنائاً، صاحب مبادرة، يسهر على جلب المصالح ودفع المفسدات، وهو يتعبد ربه بذلك العمل. ومن النماذج التطبيقية لهذا المبدأ ما يلي :

١- ما حصل في مكة المكرمة من طرف المجتمع المسلم ذي العدد المحدود، حيث إن المتتبع لإجراءات عملية الهجرة يلمس فيها أن المجتمع المسلم مع قلة عدده في ذلك الوقت يكاد يكون شرطة بأجمعه، حيث كان عبد الله بن أبي بكر رضي الله عنهما يزود الرسول ﷺ بكل ما يحاك ضده من مؤمرات من قبل قريش، وكانت أخته أسماء مخبرة كذلك، مع ما تقوم به من نقل المؤونة. وكان عامر بن فهيرة يقوم بمهمة أمنية أخرى حيث كان يرسل غنمه إلى الجهة التي سلكها عبد الله وعائشة لتطمس أثرهما حتى لا تراه قريش (ابن هشام ١٢/٣).

وإن قصة الهجرة لها دلالات كثيرة، منها تسخير الطاقات كلها من أجل التأمين اللازم للقيادة، وأنه يمكن الاستعانة بالمرأة في المهام الخطيرة، كما أن الاستعانة بغير المسلمين لا ضير فيها ما دام في ذلك مصلحة عامة، إذا كان المستعان به مأمون الجانب، موثقاً بوعوده وعهوده.

فبعد الله بن أريقط رغم شركه استعان به الرسول ﷺ لخبرته بالطرق المؤدية إلى المدينة من مكة، وكان يكتتم أسرار الهجرة عن قريش على الرغم من الجوائز الكبيرة التي رصدها قريش لمن يأتيها بالرسول حياً أو ميتاً أو يأتيها بخبره (المخابرات في الدولة الإسلامية، ص ٢٩-٣٢)

٢- إذا انتقلنا إلى المدينة المنورة وقيام الدولة وجدنا أن شرطة المجتمع كان معمولاً بها مع عدم تسميتها بهذا الاسم، فالرسول ﷺ مع أنه اختار أمناء سر خاصين منهم حذيفة بن اليمان الذي كان يأتونه على أسرار الخاصة، وكان هو الوحيد الذي يعرف أسماء المنافقين بتلق مباشر من الرسول ﷺ، كما كان يحرص كل الحرص على كتمان السر وعدم البوح بالمعلومات الموكلة إليه حفظها لأي شخص مهما علت مكانته في الدولة. فكان بذلك مثلاً لرجل الشرطة الناجح، على الرغم من ذلك كان الرسول ﷺ أيضاً يعنى بجمع المعلومات من جميع أفراد المجتمع عن أعدائه المتربصين به، كما كان الأفراد يبذلون جهودهم في العمل الشرطي دون أن يكون ذلك من وظائفهم الرسمية..

٣- في غزوة الأحزاب نجد نعيم بن مسعود الأشجعي - رضي الله عنه - يفتح مسيرته العملية بعد إسلامه مباشرة بعمل شرطي جبار، ويستخدم تخصصه في العمل الشرطي كأول خطوة يقوم بها، حيث كتم إسلامه حتى لا يشك فيه العدو، ثم استأذن الرسول ﷺ في أن يخذل الكفار في غزوة الأحزاب فقال له الرسول ﷺ ((خذل ما استطعت فإن الحرب خدعة))¹ (فتح الباري بشرح صحيح البخاري ٤٦٤/٧)

٤- ومن النماذج الرائعة في هذا الجانب ما قام به زيد بن أرقم من نقله لما صرح به رأس المنافقين عبد الله بن أبي بن سلول، وذلك عندما حدث شجار بسيط بين أحد المهاجرين وأحد الأنصار في غزوة بني المصطلق وارتفعت فيه الأصوات وكاد يقود إلى مواجهة بين القبيلتين، استغل زعيم النفاق ابن أبي الحدث وصرح تصريحاً خطيراً يرويه لنا ابن إسحاق فيقول: ((فغضب عبد الله بن أبي بن سلول وعنده رهط من قومه فيهم زيد بن أرقم غلام حدث، فقال (ابن أبي): أو قد فعلوها قد نافرونا وكاثرونا في بلادنا، والله ما عندنا وجلابيب قريش إلا كما قال الأول: سمن كلبك يأكلك، أما والله لئن رجعنا إلى المدينة ليخرجن الأعرز منها الأذل، ثم أقبل على من حضره من قومه فقال لهم: هذا ما فعلتم بأنفسكم، أحللتموهم بلادكم وقاسمتموهم أموالكم، أما والله لو أمسكتهم عنهم بأيديكم لتحولوا إلى غير داركم)) (ابن هشام، ٤ / ٢٥٤)

وعى زيد بن أرقم ما قاله ابن أبي، فمشى به إلى رسول الله ﷺ، وقد بلغ به الوعي الأمني ألا يحدث بهذا الموضوع أحداً غير رسول الله ﷺ، وهذا يعني أن على كل فرد من أفراد المجتمع أن يكون حارساً أميناً ينقل كل ما يسمعه أو يراه مما قد يجلب المفسدة إلى المجتمع.

وتروي لنا كتب السيرة موقف الرسول ﷺ من هذا البلاغ الذي وصله عن طريق الشاب زيد بن أرقم، وأنه تثبت من صحة المعلومة قبل اتخاذ القرار اللازم نحوها، حيث طرح على زيد ثلاثة أسئلة في غاية الدقة، فقال له: (يا غلام لعلك غضبت عليه؟ قال زيد: لا والله لقد سمعت منه. قال: لعله أخطأ سمعك؟ قال: لا يا نبي الله، قال لعله شبه عليك؟ قال: لا والله، لقد سمعت منه يا رسول الله (أسد الغابة ٢١٩/٢) وبعد أن استبعد الاحتمالات الثلاثة (الغرض في النقل، الخطأ فيه، الخطأ في فهمه) تيقن الخبر (الاستخبارات، ١٩٩٩م، ص ٥٠)

لا سيما أن القرآن صدق ما قاله زيد حيث نزل قوله تعالى ﴿ هُمُ الَّذِينَ يَقُولُونَ لَا تُنْفِقُوا عَلَىٰ مَنْ عِنْدَ رَسُولِ اللَّهِ حَتَّىٰ يَنْفُسُوا وَلِلَّهِ خَزَائِنُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَلَكِنَّ الْمُنَافِقِينَ لَا يَفْقَهُونَ، يَقُولُونَ لَئِن رَّجَعْنَا إِلَى الْمَدِينَةِ لِيُخْرِجَنَّ الْأَعَزُّ مِنْهَا الْأَذَلَّ وَلِلَّهِ الْعِزَّةُ وَلِرَسُولِهِ وَلِلْمُؤْمِنِينَ وَلَكِنَّ الْمُنَافِقِينَ لَا يَعْلَمُونَ ﴾ (المنافقون، ٧-٨)

المبحث الخامس: الحسبة والشرطة المجتمعية

¹ - حديث " الحرب خدعة" بفتح الخاء وضمها ، أخرجه البخاري ومسلم وغيرهما بهذا اللفظ صحيح البخاري مع الفتح ١٨٣/٦ برقم ٣٠٣٠، صحيح مسلم مع شرح النووي ٢٨٩/١٢ برقم ١٧٤٠.

للحسبة أهمية عظيمة في تاريخ الإسلام، وذلك باعتبارها مشتملة على الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر اللذين هما قوام الدين وأساسه، وهما أخص أوصاف المصطفى ﷺ قال تعالى واصفاً إياه: ﴿يَأْمُرُهُم بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَاهُمْ عَنِ الْمُنْكَرِ وَيُحِلُّ لَهُمُ الطَّيِّبَاتِ وَيُحَرِّمُ عَلَيْهِمُ الْخَبَائِثَ وَيَضَعُ عَنْهُمْ إِصْرَهُمْ وَالْأَغْلَالَ الَّتِي كَانَتْ عَلَيْهِمْ﴾ (الأعراف، ١٥٧)

وتتضح صلتها الوثيقة بالشرطة المجتمعية من خلال تعريفها، وبيان حكمها، ومكانتها في الإسلام، وأثرها الإيجابي على الفرد والمجتمع..

تعريفها ١٠٥

تعريف الحسبة في اللغة الحسبة في اللغة تطلق على عدة معانٍ، أقربها إلى الحسبة التي هي الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر معنيان: أحدهما: الإنكار، تقول احتسب فلان على فلان، أي أنكر عليه قبيح عمله. ثانيهما: طلب الأجر من الله، تقول فعلت كذا حسبة أي طلباً للأجر والثواب من الله تعالى (لسان العرب ٣١٤/١ "حسب"، ومنه الحديث ((من صام رمضان إيماناً واحتساباً غفر له ما تقدم من ذنبه)) (صحيح البخاري ١٣٨/٤ برقم ١٩٠١) تعريف الحسبة في الاصطلاح ذكر العلماء تعريفات متعددة للحسبة، وهي وإن اختلفت في ألفاظها إلا أنها متقاربة في معانيها، ولا يكاد يخلو واحد منها من ذكر الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر.

ومن أقدم تعريفاتها تعريف الماوردي لها بأنها: ((هي أمر بالمعروف إذا ظهر تركه، ونهي عن المنكر إذا ظهر فعله)) (الأحكام السلطانية، ص ٢٩٩) وعرفها بعض المتأخرين بأنها: هي فاعلية المجتمع في الأمر بالمعروف إذا ظهر تركه والنهي عن المنكر إذا ظهر فعله تطبيقاً للشرع الإسلامي (محمد كمال الدين إمام، أصول الحسبة في الإسلام، ص ١٦).

والملاحظ أن التعريف الأخير يشمل ما ذكره الماوردي إلا أنه يضيف عبارة مهمة وهي "فاعلية المجتمع" وذلك ليشمل تعريف الحسبة التي يقوم بها جميع أفراد المجتمع امتثالاً للشرع، وهذه الفاعلية التي نريدها للإسهام في العمل الشرطي ولتحقيق أمن المجتمع من طرف الجميع.

٢٠٥ حكمها ومكانتها في الإسلام

حكم الاحتساب هو حكم الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر الذي يصفه أبو حامد الغزالي بقوله: ((إنه القطب الأعظم في الدين، وهو المهمة التي ابتعث الله لها النبيين أجمعين، ولو طوي بساطه وأهمل علمه وعمله لتعطلت النبوة وعمت الفترة وفشت الضلالة، وشاعت الجهالة، واستشرى الفساد، واتسع الخرق وخربت البلاد، وملك الفساد ولم يشعروا بالهلاك إلا يوم التناد)) (إحياء علوم الدين له ٣٠٦/٢) وقد دل على وجوب الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر الكتاب والسنة وإجماع الأمة.

فمن الكتاب قوله تعالى: ﴿لَتَكُنَّ مِّنكُمْ أُمَّةٌ يَدْعُونَ إِلَى الْخَيْرِ وَيَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ﴾ آل عمران ١٠٤ حيث جعل الله الفلاح مختصاً بمن يقوم بالأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، ويؤيد ذلك ويؤكد ما جاء في سورة العصر ﴿وَالْعَصْرُ ، إِنَّ الْإِنْسَانَ لَفِي خُسْرٍ ، إِلَّا

الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ وَتَوَّصَوْا بِالْحَقِّ وَتَوَّصَوْا بِالصَّبْرِ ﴿العصر، ١-٣. فكل من دل المجتمع على خير أو حذره من شر فإنه داخل في هذا الوعد بالفلاح ... إلى غير ذلك من الآيات.

ومن السنة أحاديث كثيرة منها ما رواه حذيفة رضي الله عنه أن النبي ﷺ قال : ((والذي نفسي بيده لتأمرن بالمعروف ولتنتهون عن المنكر أو ليوشكن الله أن يبعث عليكم عقاباً منه، ثم تدعونه فلا يستجاب لكم)) (سنن الترمذي ٤٠٦/٤ برقم ٢١٦٩).

أما الإجماع فقد صرح بنقله كثير من العلماء، يقول الإمام النووي ((وقد تطابق على وجوب الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر الكتاب والسنة وإجماع الأمة، وهو أيضاً من النصيحة التي هي الدين)) (النووي على مسلم ٣٨٢/٢)

٣٠٥ أثرها الإيجابي الأمني على الفرد والمجتمع

من محاسن الحسبة وأثرها الإيجابي على الفرد والمجتمع، أنها سبب لنصر الله والتمكين في الأرض ﴿وَلْيَنْصُرَنَّ اللَّهُ مَن يَنْصُرُهُ إِنَّ اللَّهَ لَقَوِيٌّ عَزِيزٌ ، الَّذِينَ إِذْ مَكَتَاهُمْ فِي الْأَرْضِ أَقَامُوا الصَّلَاةَ وَآتَوُا الزَّكَاةَ وَأَمَرُوا بِالْمَعْرُوفِ وَنَهَوْا عَنِ الْمُنْكَرِ وَلِلَّهِ عَاقِبَةُ الْأُمُورِ﴾ الحج، ٤٠-٤١

كما أنها سبب أيضاً في النجاة عند حلول العذاب والهلاك بالأمة الظالمة كما في قوله تعالى: ﴿وَإِذْ قَالَتْ أُمَّةٌ مِّنْهُمْ لِمَ تَعِظُونَ قَوْمًا اللَّهُ مُهْلِكُهُمْ أَوْ مُعَدِّبُهُمْ عَذَابًا شَدِيدًا قَالُوا مَعذِرَةٌ إِلَىٰ رَبِّكُمْ وَلَعَلَّهُمْ يَتَّقُونَ ، فَلَمَّا نَسُوا مَا دُكِّرُوا بِهِ أَنْجَيْنَا الَّذِينَ يَنْهَوْنَ عَنِ السُّوءِ وَأَخَذْنَا الَّذِينَ ظَلَمُوا بِعِقَابٍ بَئِيسٍ بِمَا كَانُوا يَفْسُقُونَ﴾ الأعراف، - ١٦٥-١٦٦ وذلك أن اليهود لما عصوا أمر ربهم واحتالوا على السبت الذي حرم عليهم الصيد فيه، كان فريق منهم يحذر الفريق العاصي مغبة احتياله وينكر عليه ما يزاوله من الاحتيال، وكان فريق ثالث : يقول للذين يعظون المخالفين : ما فائدة وعظ هؤلاء وقد كتب الله عليهم الهلاك والعذاب، فقالوا لهم ((معذرة إلى ربكم ولعلمهم يتقون))، أي أنه واجب الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر تؤديه لنبلغ إلى عذرنا، ثم لعل النصح يؤثر في هؤلاء المخالفين فيقلعون عما يرتكبونه، وعندما لم يستجيبوا للنصح والموعظة أخذهم الله بعذابه، ونجى الذين كانوا يصلحون ويأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر.

وفي المقابل فإن التخلي عن الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر وتركه يؤدي إلى عواقب وخيمة على الفرد وعلى المجتمع، وهي بطبيعة الأمر ضد ما سبق ذكره من فضائل القيام بهذه المهمة ناهيك عما يسببه إهمال هذه الوظيفة من انتشار الفساد وتفشي الجرائم.

ففي الأثر أن علياً رضي الله عنه خطب الناس فحمد الله وأثنى عليه ثم قال: ((يا أيها الناس إنما هلك من كان قبلكم بركوبهم المعاصي ولم ينههم الربانيون والأحبار، فلما تمادوا في المعاصي أخذتهم العقوبات، فمروا بالمعروف وانهاوا عن المنكر قبل أن ينزل بكم مثل الذي نزل بهم واعلموا أن الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر لا يقطع رزقاً ولا يقرب أجلاً)) (تفسير ابن كثير، ٨٥/٢)

المبحث السادس: التكافل في الإسلام وأثره الأمني

١٠٦ تعريفه

التكافل في اللغة العربية من المصادر التي تدل على الاشتراك بين اثنين فأكثر كالتخاصم والتشاجر، وهو مشتق من الكفيل وهو الضامن أو من الكافل الذي يعول إنساناً . (لسان العرب ١١ / ٥٨٩، ٥٩٠ "كفل").

وفي الاصطلاح هو : ((إيمان الأفراد بمسؤولية بعضهم عن بعض وأن كل واحد منهم حامل لتبعات أخيه، ومحمول بتبعاته على أخيه)) المجدوب، ١٩٩٢م، ص ٦٠) وهو بمعنى آخر تضامن أبناء المجتمع فيما بينهم سواء أكانوا أفراداً أو جماعات حكاماً أو محكومين بدافع من شعور وجداني عميق ينبع من أصل العقيدة الإسلامية ليعيش الفرد في كفالة الجماعة وتعيش الجماعة بموازنة الفرد، حيث يتعاون الجميع ويتضامنون لإيجاد المجتمع الأفضل ودفع الأضرار عن أفرادهم (المرجع السابق، ص ٥٩)

٢٠٦ طبيعة التكافل

لقد قرر الإسلام الترابط والتكافل بين أفراد المجتمع ومجموعاته وحث عليهما، من أجل الوقاية من الجريمة والانحراف، ومن تأمل منهج الإسلام في ذلك اتضح له أن التكافل في الإسلام شامل في مضامينه لا يخلو من أي ضرب من ضروب الأفعال النافعة التي تعود بالخير على الفرد والجماعة، أو تمنع من الانحراف عن الطريق السوي.

والأنشطة التكافلية مع تنوعها وشمولها يمكن تقسيمها إلى نوعين:

أ- نوع تغلب عليه الطبيعة المعنوية كالبر والعدل والأخوة والمساواة والتراحم والمودة، وقد أرشد الإسلام إلى هذا النوع من التكافل ورغب فيه ترغيباً شديداً من أجل إقامة المجتمع الآمن الفاضل حيث أمر (بالبر بالوالدين، والإحسان إلى القريب وإلى الضعيف كاليتيم والمسكين، وإلى معاملة الجار المعاملة الحسنة، وكذلك الصاحب وابن السبيل وما جعله الله تحت قبضة اليد من العمال والمستضعفين الذين لا حول لهم ولا قوة، وهذه الشرائح من المجتمع تمثل أغلبه وهي تجمعها الآية الكريمة)

﴿ وَاعْبُدُوا اللَّهَ وَلَا تُشْرِكُوا بِهِ شَيْئًا وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا وَبِذِي الْقُرْبَىٰ وَالْيَتَامَىٰ وَالْمَسَاكِينِ وَالْجَارِ ذِي الْقُرْبَىٰ وَالْجَارِ الْجُنُبِ وَالصَّاحِبِ بِالْجَنبِ وَابْنِ السَّبِيلِ وَمَا مَلَكَتْ أَيْمَانُكُمْ إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ مَن كَانَ مُخْتَالًا فَخُورًا ﴾ النساء، ٣٦، ويشمل هذا النوع من التكافل التعاون بين أفراد المجتمع ومؤسساته فيما يحقق الأمن والسلامة للجميع.

ب - نوع تغلب عليه الطبيعة المادية كإعانة المحتاج وإغاثة الملهوف وتأمين الخائف والإسهام العملي في إقامة المصالح العامة، وقد دعا الإسلام أيضاً إلى هذا النوع من التكافل وحث عليه واستنهض الهمم فيه ((روضة ياسين، ١٩٩٢، ١٥٦/٢)

٣٠٦ أثر التكافل في الأمن

ليس هناك أدنى شك في أن الإسلام قرر التكافل الاجتماعي من أجل الوقاية من الجريمة والانحراف؛ لأن التكافل بنوعيه يقيم التوازن ويوفر الانسجام بين

أحوال وأوضاع مجتمعية متباينة بطبيعتها كالغنى والفقر، والقوة والضعف، والقدرة والعجز. إذ لو تركت هذه المتناقضات في المجتمع دون تنظيم لتفاقت واشتد تنافرها مما يؤدي في النهاية إلى فساد كبير، حيث إن الغني سيزداد جشعا واستغلالا للفقير، والقوي سيزداد جبروتا وتسلطا على الضعيف، والقادر سيزداد عتوا وتحكما في العاجز، فلا تملك تلك الطبقات الدونية إلا أن تحقد على التي فوقها وتعمل من جانبها على الكيد لها والانتقام منها بشتى الوسائل، فتشيع الكراهية وتتفشى الأحقاد بين أفراد المجتمع، وبالتالي ترتكب الجرائم من الجانبين، ويتحقق مبدأ التكافل والترابط تتحقق الوقاية والمنع من الجريمة وينتشر الأمن في المجتمع، ويكون التكافل في هذه الحالة قد سد ثغرة كبيرة، وقدم خدمة جليلة تساند العمل الشرطي وتوازره (المجدوب، ٣٥٩).

المبحث السابع: الوازع الديني وأثره في التعاون الأمني

١٠٧ مفهوم الوازع الديني

يطلق "الوازع" في اللغة العربية على المنع والكف عن الشيء بصفة عامة، واستعمل الوازع في كف النفس عما تشتهيه بصفة خاصة.

جاء في اللسان: "الوازع" كف النفس عن هواها، والوازع في الحرب: الموكل بالصفوف، يزع من تقدم منهم بغير أمره. ويقال: وزعت الجيش إذا حبست أولهم على آخرهم. وفي حديث جابر: ((أردت أن أكشف عن وجه أبي لما قتل والنبي ﷺ ينظر إلي فلا يزعني)) أي لا يزجرني ولا ينهايني.

والوازع: الحابس العسكر الموكل بالصفوف يتقدم الصف فيصلحه ويقدم ويؤخر، والجمع وزعة ووزاع. وفي التنزيل ﴿ال رَبُّ أَوْزَعْنِي أَنْ أَشْكُرَ نِعْمَتَكَ الَّتِي أَنْعَمْتَ عَلَيَّ وَعَلَى وَالِدَيَّ وَأَنْ أَعْمَلَ صَالِحاً تَرْضَاهُ وَأَصْلِحْ لِي فِي ذُرِّيَّتِي إِنِّي تُبْتُ إِلَيْكَ وَإِنِّي مِنَ الْمُسْلِمِينَ﴾ سورة الأحقاف ١٥. ومعنى أوزعني ألهمني وأولعني به، وتأويله في اللغة كفني عن الأشياء إلا عن شكر نعمتك، وكفني عما يباعدني عنك. (ابن منظور، ٣٠٩، ٨)، ((وزع)) وإضافة الوازع إلى الدين تفيد أن إيمان الإنسان وتدينه هو الذي يكفه ويمنعه عن اتباع الهوى. أما في الاصطلاح: فإن من تتبع استعمالات هذا المركب (الوازع الديني) يجد له دلالة أعم من دلالة الكف والمنع، حيث إنه يستعمل في الكف عن الهوى والمعاطب، كما يستعمل في الحمل على الفعل الحسن، ولهذا كان استعمال هذا المصطلح في موضوعنا أكثر دلالة على المعنى الأخير الذي هو الأداء والإنتاج والإيجابية في الأمور.

كما أن الوازع يستعمل بإزائه مصطلحات أخرى لا تبعد كثيراً عن معناه (كالرقابة الذاتية) والضمير الأخلاقي، ومهما كان الأمر فإن تلك المصطلحات تدور حول معنى قوة العقيدة وحسن السيرة والسلوك، أي حول ما يسمى بالإحسان المعبر عنه في الحديث الشريف بأنه هو (أن تعبد الله كأنك تراه فإن لم تكن تراه فإنه يراك) (صحيح البخاري ١٨/١)

الجدير بالذكر أن عمل المؤمن كله عبادة، فتجارة التاجر عبادة إذا نوى بها إغناء نفسه والتزود بها للدار الآخرة، والعمل الأمني بمختلف أشكاله عبادة إذا أداه صاحبه على الوجه الصحيح مستحضراً نية التعبد به، وعلى هذا يمكن

تعريف الوازع الديني بأنه (رقابة ذاتية ودافع داخلي مصدره العقيدة يحمل على فعل الخير ويمنع من فعل الشر)

٢٠٧ وسائل تنمية الوازع الديني وأثرها

إن الوازع الديني والإيمان الصادق من أبرز الصفات التي تجعل أفراد المجتمع يتعاونون ويخلصون لخدمته، فيتعاونون مع اختلاف وظائفهم على تحقيق أمنه وسلامته.

ويتجلى ذلك في النماذج السالفة من المواقف: فصدق الإيمان وقوة الوازع الديني هو الذي حدا بأبي حذيفة رضي الله عنه إلى الدخول في صفوف الأحزاب لينقل إلى الرسول ﷺ أخبارهم في تلك الليلة الليلاء وفي تلك الفترة التي تعتبر من أخرج فترات حياة الدولة.

وصدق الإيمان وقوة الوازع هو الذي حدا بنعيم بن مسعود وعبد الله بن أنيس وزيد بن أرقم وغيرهم إلى بذل أنفسهم من أجل المصلحة العامة للدولة، ومن أهم وسائل تنمية الوازع الديني وتقوية الإيمان الصحيح ما يلي:

أ - العقيدة الصحيحة، فللعقيدة الإسلامية الصحيحة تأثير كبير على حياة الإنسان، إذ تؤثر في سلوكه وطباعه وتفكيره، وهي التي تحقق له السعادة البشرية والاستقامة والانضباط، فمن آمن بوجود الله وبغيره من أركان الإيمان الأخرى، واعتقد أن الله لا يخفى عليه شيء في الأرض ولا في السماء وأنه لا يغادر صغيرة ولا كبيرة إلا أحصاها، جعله ذلك صاحب رقابة على نفسه، فيحرص في أفعاله وأقواله عن الابتعاد عن أي انحراف فتزداد رغبته في الخير وفي تحقيق السعادة والأمن لنفسه ولمجتمعه.

ب - العبادة الصحيحة، وفي مقدمتها الصلاة التي وصفها الله تعالى بأنها تنهى عن الفحشاء والمنكر، ومنها الزكاة التي تعتبر طهارة وتزكية للنفوس من الآثام والانحراف، مما يؤدي إلى الاطمئنان والاستقرار لدى الأفراد فيصبح كيان المجتمع كالبنيان المرصوص، ومنها الصيام الذي يعتبر بمثابة الدورة التدريبية على حسن السلوك خلال شهر كامل، فيه تتعود النفوس على الاستقامة والتعاون، كما أن الحج يربي الفرد تربية روحية واجتماعية تتمثل في الاستقامة على الخلق الحسن، والابتعاد عن الشهوات والمعاصي، وهو فرصة عظيمة لتحقيق مبدأ الأخوة والمساواة بين الناس.

ج - الابتعاد عن المحرمات بمختلف أنواعها، سواء كانت متعلقة بسلوك الفرد الخاص به، كاستعمال المواد المغيبة للعقل أو المهيجات الجنسية، أو مسببات العداوة والبغضاء بين أفراد المجتمع كالنميمة والهجران وقطيعة الرحم، أو كانت مما يتعدى ضرره إلى غيره من أفراد المجتمع كالإيذاء والترويع وظلم الأنفس البريئة، وغير ذلك مما منشؤه الفهم السقيم أو الانحراف الفكري.

المبحث الثامن : المبادرة المنضبطة وأثرها الأمني

تهدف الشريعة الإسلامية إلى إيجاد مجتمع إيجابي فاعل كل فرد فيه يعتبر نفسه مسؤولاً عن جلب كل ما فيه مصلحة ودرء كل ما فيه مفسدة للمجتمع، والمتتبع لتطبيقات الرسول ﷺ وأصحابه يجدها تتميز بالمبادرة الإيجابية المنضبطة تميزاً

يشعر بأنهم يدركون أن الأمن مسؤولية الجميع ولأهمية المبادرة في تحقيق هذا المبدأ، سنشير إلى تعريفها وأهميتها ونذكر نماذج منها على سبيل المثال:

١٠٨ تعريف المبادرة

تعريفها في اللغة: جاء في لسان العرب: بدرت إلى الشيء أبدر بدوراً، أسرع، وكذلك بادرت إليه، وتبادر القوم أسرعوا، وبادر بالشيء مبادرة وبداراً، وابتدره، وبدر غيره إليه، يبدره، عاجله، ومنه قول ابن أبي المثلّم: فيبدرها شرائعها فيرمي مقاتلها فيسقيها الزؤاما
أراد إلى شرائعها والمبادرة البديهة، والمبادرة من الكلام التي تسبق من الإنسان في الغضب، ومنه قول النابغة:

ولا خير في حلم إذا لم يكن له بوادر تحمي صفوة أن يكدر

تعريفها في الاصطلاح: من تأمل ما قيل في تعريف هذه المادة في اللغة علم أنها تفيد عدة معان، أكثرها صلة بالمبادرة التي نحن بصدد الكلام عنها: المسارعة، المعاجلة، البديهة. لذلك لزم النظر إلى هذه المعاني عند تعريف المبادرة في الاصطلاح لأنها لا تخرج عنها بعيداً. لسان العرب (٨٤/٤) "بدر" والمتتبع لنصوص الشرع يجد فيها بعض هذه المعاني - ومن ذلك:

أ - قوله تعالى في شأن أموال اليتامى: ﴿وَلَا تَأْكُلُوهَا إِسْرَافًا وَبِدَارًا أَنْ يَكْبَرُوا﴾ (النساء: ٦)، أي مبادرة قبل بلوغهم. (المصباح المنير في تهذيب تفسير ابن كثير، ص ٢٧٤)

ب - وقوله (صلى الله عليه وسلم) (لا تبادروني بركوع ولا بسجود) (أبو داود، كتاب الصلاة برقم ٦١٩)

ج - وقوله (صلى الله عليه وسلم) في قتله لأبي جهل: فابتدأه بسيفيهما فضرباه حتى قتلاه) (البخاري ، كتاب فرض الخمس برقم ١٣٤١)

د - وقوله ﷺ لمن قال: سمع الله لمن حمده: رأيت بضعة وثلاثين ملكاً يبتدرونها أيهم بكتبتها أول) (البخاري، كتاب الأذان برقم ٩٩٧)

وعلى هذا تكون المبادرة بمعناها الاصطلاحية ذات مدلولين: **أحدهما:** المسارعة إلى الأمر والاستعجال فيه والمسابقة إليه أي إلى فعله كما في الأحاديث المذكورة.

ثانيهما: ما يقدمه الفرد من الرأي أو يتخذه من القرارات البناء بناء على تفكيره الخاص وبديهته، وانطلاقاً من اهتمامه وطموحه.

٢٠٨ أهمية المبادرة وترغيب الشرع فيها:

يحث ديننا الحنيف أبناءه على التأمل والتدبر والتفهم والتعقل، والتفكير في آيات الله ومخلوقاته، كما يحث الإسلام على التفقه في العلم النافع ويكرم العلم والعلماء المبدعين.

ولما كان تفكير الإنسان يعتمد أساساً على ما تمده به حواسه من معلومات عن العالم الخارجي، فإن الإسلام يشجع تلك الحواس ويرغب في استخدامها وإعمالها في الإبداع والابتكار، وفي سيرة الرسول ﷺ ما يدل على أنه كان يشجع أصحابه على المبادرة والابتكار، فقد كان يطرح عليهم الأسئلة ليختبر ما

عندهم من العلم، كما كان يحاورهم ويرحب بأسئلتهم ويشجعهم عليها، ويدعوهم أن يسألوه ما بدا لهم من الأسئلة، كل ذلك يعتبر من الأصول الأساسية للمبادرة المنضبطة وأهميتها بصفة عامة، غير أن أهميتها تزداد في المواقف الحرجة التي يحتاج الأمر فيها إلى حل فوري، كما في الأزمات والحروب ونحو ذلك. ومن المصطلحات المقاربة لمعنى المبادرة: الإبداع، الاختراع، الابتكار، وهذه المصطلحات كلها تشير إلى معانٍ يحث عليها الشرع ويرغب فيها وهي لا تخرج عن أنها بمعنى إيجاد الشيء على غير مثال سابق، أو اكتشافه وإظهار حقيقته بشكل لم يسبق إليه صاحبه (عيسوي، عبد الرحمن، سيكولوجية الإبداع، ص ١٩) ويقول علماء التربية إن هناك علاقة قوية بين الإبداع والذكاء والموهبة، كما يقال: إن المبدعين كثيراً ما يفضلون التعامل مع المشكلات المعقدة بدلاً من السهلة، وكثيراً ما يتمتعون بتنوع المهارات مما يميزهم عن غيرهم من الأفراد (المرجع السابق).

ومن خصائص توليد الأفكار الإبداعية :

- الحذاقة الفكرية، وتتضمن قدرة الشخص على الربط بين الأفكار والمفاهيم والرموز والكلمات والأرقام، وذلك من أجل الخروج بمفاهيم أو دلالات جديدة.
- المرونة، بأن يكون الشخص قادراً على التكيف السريع مع التطورات والمواقف الجديدة.
- الأصالة، بأن لا يكرر الشخص أفكار المحيطين به، بل يخرج عن المألوف ويأتي بأفكار جديدة وجيدة من صنعه.
- ومن أهم معوقات الإبداع
 - صعوبة تحديد المشكلة
 - الاستعجال في الوصول إلى حل المشكلة -
 - الخوف من الفشل.
 - غياب الدوافع لحل المشكلات.
 - التمسك بالمألوف -
 - عدم توفر البيئة الملائمة للإبداع (هيجان، عبد الرحمن أحمد، المدخل الإبداعي لحل المشكلات، ص ٤٠٨)

٣٠٨ نماذج من المبادرة التي ننشدها

يستطيع المتتبع لقصص القرآن الكريم ووقائع السيرة النبوية أن يستنتج منهما أمثلة من المبادرة البناءة لا تكاد تحصى، نذكر منها نماذج على سبيل المثال:

أ - مبادرة الحباب بن المنذر رضي الله عنه يوم بدر وطلبه من الرسول ﷺ أن ينزلوا عند أدنى المياه من العدو وأن يهدموا المياه التي تلي العدو، حيث لا يجدوا ماء حيث يتحكم فيه المسلمون وحدهم.

وهذه المبادرة صاحبها تصريح بالانضباط والانقياد للنظام حيث سأل الحباب رسول الله صلى الله عليه وسلم عن الأمر، هل هو وحي من الله وذلك ليوقف عنده ويلتزم به ولا يتجاوزَه، أو هو رأي ومكيدة فيكون قابلاً للتدخل بالمبادرة؟ فذكر له رسول الله ﷺ أنه ليس وحيًا وإنما هو رأي رآه.

ب - ما جاء في الحديث الصحيح من شأن المبادرة بالأذان، حيث جاء ما يدل على أن عبد الله ابن زيد رأى تلك الرؤيا وذكرها لرسول الله ﷺ كمبادرة، ثم إن عمر بن الخطاب رضي الله عنه بادر عندما انتهى زيد من ذكر الرؤيا لرسول الله ﷺ فقال: أولا تبعثون رجلا ينادي بالصلاة؟ فقال رسول الله ﷺ: يا بلال قم فناد بالصلاة.

ومن الفوائد المستنبطة من هاتين المبادرتين:

أن عنصر الاهتمام، وحمل هم المسألة، أمر أساس في وجود المبادرة من أصلها، حيث كان زيد يفكر في الحل لمشكلة قائمة وهي وجود آية معينة لتنبية الناس للصلاة حتى إنه كان يحمل هم هذه المشكلة وهو في نومه.

- أن عنصر الفورية في التطبيق مهم لرسوخ المبادرة وإنجاحها، حيث بادر عمر - رضي الله عنه - برأيه حول تطبيق الفكرة.

ج - مبادرة عمر - رضي الله عنه - بالإشارة إلى أبي بكر - رضي الله عنه - بضرورة كتابة القرآن الكريم، لأن حفظه القرآن قد استشهد منهم جم غفير.

د مبادرة حذيفة بن اليمان - رضي الله عنه - بالإشارة إلى عثمان - رضي الله عنه - بجمع القرآن وكتابته على حرف واحد، لأن الصحابة أصبحوا يختلفون في بعض الكلمات المقروءة على أحد الأحرف السبعة.

هـ - ولعل من المبادرات العملية مبادرة عبد الله بن أنيس - رضي الله عنه - حيث صلى وهو على حاله يمشي حتى لا يكتشفه العدو، وذلك أن رسول الله ﷺ لما بلغه أن خالد بن سفيان الهذلي يحشد الجموع لحرب المسلمين أرسل عبد الله بن أنيس إليه ليقتله، فدخل ابن أنيس في صف العدو وهو يكتم إسلامه وجاء وقت صلاة العصر فصلى على الحال التي هو بها بالإيماء والنية (المباركفوري، الرحيق المختوم، ص 203)

و - مبادرة حذيفة - رضي الله عنه - ليلة الأحزاب وسؤاله لجاره من أنت؟ وذلك عندما دخل في جيش العدو ليأتي بخبرهم إلى رسول الله ﷺ فسمع قائدهم يقول كل واحد منكم يأخذ بيد صاحبه ويتعرف عليه حتى لا يدخل إليكم عدو، فبادر حذيفة وأخذ بيد جاره وقال له من أنت.

ز - مبادرة محمد بن مسلمة في قصة قتله لكعب بن الأشرف، وذلك أن كعب بن الأشرف كان من أشد اليهود حنقا على الإسلام والمسلمين وإيذاء لرسول الله ﷺ وتهديداً لأمن الدولة وعند ذلك أذن رسول الله ﷺ لمحمد بن مسلمة في قتله باتخاذ أي مبادرة يراها فبادر بوضع خطة كانت نتيجتها القضاء على ابن الأشرف وإراحة المسلمين من شره (المباركفوري، الرحيق المختوم، ص 166)

ح - مبادرة عمر في منعه لأبي هريرة أن يخبر الناس بأن من قال (لا إله إلا الله دخل الجنة، مع أن رسول الله ﷺ بعثه وأمره أن يقول ذلك للناس، فلقية عمر في الطريق فمنعه ودفعه حتى سقط، وذلك مخافة أن يتكلوا. فكان حرص عمر على المصلحة العامة للمجتمع يدفعه إلى المبادرة بهذا التصرف الذي يدل في

ظاهرة على مخالفة أمر الرسول ﷺ ولكنه أقره على ذلك وهي من موافقات عمر رضي الله عنه المشهورة.

يقول أبو هريرة في هذا الحديث (فأجهشت بكاء... فقال لي رسول الله ﷺ ما بالك يا أبا هريرة: قلت لقيت عمر فأخبرته بالذي بعثني به فضرب بين ثديي ضربة خَرَرْتُ لآستي قال: أرجح فقال له رسول ﷺ يا عمر ما حملك على ما فعلت؟ قال يا رسول الله بأبي أنت وأمي أبعثت أبا هريرة بنعليك من لقي يشهد أن لا إله إلا الله مستيقنا بها قلبه بشره بالجنة؟ قال نعم، قال فلا تفعل فأني أخشى أن يتكل الناس عليها فخلهم يعملون قال رسول الله ﷺ فخلهم) (صحيح مسلم مع شرح النووي، ١/٣٥١)

الخاتمة:

بعد رحلة استغرقت وقتاً لا يستهان به بحثاً عن مواطن تأصيل العمل الأمني ومفهوم الشرطة المجتمعية وتطبيقاتها في الإسلام، أمكن الوصول إلى النتائج الآتية:

١- أن النصوص القرآنية والأحاديث النبوية وسيرة المصطفى ﷺ وسيرة خلفائه تزرخ بالدلالات الواضحة على مشروعية العمل الشرطي وأهميته لسلامة النظام وأمنه.

٢- أن الشرطة المجتمعية التي هي مشاركة جميع أفراد المجتمع ومؤسساته في العمل الأمني .. تكاد تكون قديمة قدم الإنسان إذ وجدت نماذج تطبيقية تشير إليها في الشرائع السابقة وفي العصر الجاهلي، وإن لم تسم باسمها المعروف اليوم، مما يؤكد أن الأمن مسؤولية الجميع بالضرورة .

٣- أن الاحتساب، والتكافل، والمبادرة الإيجابية كلها مبادئ تحقق الشراكة المنشودة بين المجتمع ورجال الأمن، ولذلك فقد أولتها الشريعة عناية كبيرة تجسدت في الإشادة بشعيرة الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، وفي إيجاب التكافل الاجتماعي، الذي يقيم التوازن ويوفر الانسجام بين أحوال وأوضاع متباينة بطبيعتها كالغنى والفقر، والقوة والضعف والقدرة والعجز ...

٤- أن الوازع الديني وسلامة الفكر من الانحراف من أبرز الصفات التي تجعل أفراد المجتمع مع اختلاف شرائحهم ووظائفهم يتعاونون ويخلصون لخدمته إدراكاً منهم للحقيقة التي عبر عنها صاحب السمو الملكي الأمير نايف بن عبد العزيز بقوله (إن الأمن مسؤولية الجميع).

ولهذا فإن هذه الورقة توصي بالآتي :

١- ضرورة المزيد من تأصيل العمل الأمني وكونه مسؤولية الجميع، لاسيما في المجتمع المسلم الذي لا يفتتخ إلا بهذا التأصيل .

٢- تكثيف الدراسات حول العوامل المؤدية إلى قيام شراكة جادة بين المجتمع وبين الشرطة والمجتمع من جهة أخرى لتحقيق المستوى الأمني المنشود .

٣- زيادة العناية ببرامج التوعية والتنظيف من خلال المؤسسات التربوية والإعلامية الموجهة إلي المجتمع بمختلف مستوياته وتخصصاته لإحياء روح التعاون والشراكة في تحقيق الأمن.

المراجع

- إبراهيم أنيس وآخرون، المعجم الوسيط، المكتبة الإسلامية، إستانبول، ١٩٧٢م.
ابن الأثير، علي بن أبي المكرم، أسد الغابة في معرفة الصحابة، دار إحياء التراث العربي، بيروت، (د.ت)
- أحمد، إبراهيم علي محمد، الاستخبارات في دولة المدينة المنورة، جامعة نايف العربية للعلوم الأمنية، الرياض، ١٩٩٩م.
أحمد، إبراهيم علي محمد، رجل الأمن في الإسلام : شروطه وصفاته وأدابه، جامعة نايف العربية للعلوم الأمنية، الرياض، ٢٠٠٠م.
الأصفر، أحمد، الجوانب الاجتماعية للشرطة المجتمعية، "بحث منشور ضمن أبحاث ندوة الشرطة المجتمعية " الأساليب والنماذج والتطبيقات العملية"، جامعة نايف العربية للعلوم الأمنية، ٢٠٠١م.
الأصبيعي، محمد إبراهيم، النماذج العربية في الشرطة المجتمعية "بحث مطبوع ضمن أبحاث ندوة الشرطة المجتمعية " الأساليب والنماذج والتطبيقات العملية"، جامعة نايف العربية للعلوم الأمنية، الرياض، ٢٠٠١م.
الألوسي، أبو الفضل شهاب الدين، روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني، دار إحياء التراث العربي، بيروت، (د.ت)
إمام، محمد كمال الدين، أصول الحسبة، دار الهداية، مصر، ١٤٠٦هـ.
البخاري محمد بن إسماعيل، صحيح البخاري، دار الريان للتراث، القاهرة، ١٤٠٩هـ.
البغوي الحسين بن مسعود، مختصر تفسير البغوي، مكتبة المعارف، الرياض، ١٩٩٦م.
الترمذي محمد بن عيسى، الجامع الصحيح (سنن الترمذي)، دار الكتب العلمية، بيروت، (د.ت)
- ابن حزم،.....جمهرة أنساب العرب
أبو شامة، عباس عبد المحمود، شرطة المجتمع، جامعة نايف العربية للعلوم الأمنية، الرياض، ١٩٩٩م.
العتيبي، سعود بن عبد العالي، الموسوعة الجنائية الإسلامية، مكتبة الرشد، الرياض، ١٤٢٤هـ.
العسقلاني، أحمد بن علي بن حجر، الإصابة في تمييز الصحابة، دار الفكر العربي، (د.ت)
- العسقلاني، أحمد بن علي بن حجر، فتح الباري بشرح صحيح البخاري، دار الريان للتراث، القاهرة، ١٤٠٩هـ.
عيسوي، عبد الرحمن، سيكولوجية الإبداع ، دار النهضة العربية، بيروت لبنان (د.ت)
- الغزالي محمد بن محمد، إحياء علوم الدين، دار المعرفة، بيروت، (د.ت)
القشيري، مسلم بن الحجاج، صحيح مسلم، دار القلم، بيروت، (د.ت)

ابن كثير، عماد الدين اسماعيل بن كثير، تفسير القرآن العظيم، دار الخير، بيروت، ١٩٩١م.

ابن كثير، عماد الدين إسماعيل بن كثير، البداية والنهاية، دار الفكر، بيروت، (د.ت)

الماوردي، علي بن محمد، الأحكام السلطانية والولايات الدينية، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٩٨٥م.

المباركفوري، صفي الرحمن، ٢٠٠٥م، الرحيق المختوم، دار الفكر للطباعة والنشر، بيروت، لبنان

المجدوب، أحمد علي، التكافل الاجتماعي في الإسلام وأثره في منع الجريمة والوقاية منها، المركز العربي للدراسات الأمنية والتدريب، الرياض ١٩٩٢م.

ابن منظور، محمد بن مكرم، لسان العرب، دار لسان العرب، بيروت، د.ت

النووي، يحيى بن شرف، شرح النووي على صحيح مسلم، دار القلم، بيروت.

ابن هشام، عبد الملك بن هشام، سيرة ابن هشام، دار الجيل، بيروت، ١٩٩١م.

الهرفي، سلامة محمد، المخابرات في الدولة الإسلامية، المركز العربي للدراسات الأمنية والتدريب، الرياض، ١٩٨٨م.

هيجان، عبد الرحمن أحمد، ١٩٩٩م، المدخل الإبداعي لحل المشكلات، جامعة نايف العربية للعلوم الأمنية، الرياض.

ياسين، روضة بنت محمد، منهج القرآن في حماية المجتمع من الجريمة، المركز العربي للدراسات الأمنية والتدريب، الرياض، ١٩٩٢م.

أبو يوسف، يعقوب بن إبراهيم، الخراج، بيروت، ١٩٧٩م.